مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

المنهج التفسيري لأهل البيت(عليهم السلام) في فهم القران الكريم
(دراسة تحليليه في ضوء التفاسير الشيعية)

م.د محمد جابر علوان
جامعة بابل – كلية العلوم الإسلامية – قسم الفقه واصوله
said.mh.1973@gmail.com

الملخص

يُعدُّ علم التفسير القرآني ركيزةً أساسيةً في بنيان المعرفة الإسلامية، إذ يُعنى بالكشف عن مراد الله تعالى من وحيه المنزل على نبيّه الكريم، وضمان الهداية للبشرية. يتناول هذا البحثُ بشكلٍ مستفيضٍ المفاهيمَ اللغويةَ والاصطلاحيةَ المتنوعةَ للتفسير، مستعرضاً الأساليبَ المنهجيةَ البارزةَ المعتمدةَ فيه. يبرزُ في طليعة هذه المناهجِ (التفسير بالمأثور) الذي يُعدُّ الأساسَ الأوثقَ والأصوبَ، كونه يستقي بيانَه من القرآن الكريم نفسه، ومن السنة النبوية الشريفة، وأقوال الصحابة والتابعين. وعلى النقيضِ من ذلك، يُعرّجُ البحثُ على منهجِ (التفسير بالرأي) بشقيه المقبول والمذموم، مع وضع الضوابط الدقيقة لتمييز المقبول منه الذي يوافق قصد الشارع. ان البحث يلقي الضوءَ الكاشفَ على دورِ أهلِ البيتِ عليهم السلام كمرجعيةٍ علميةٍ أصيلةٍ ومؤهلةٍ للبيان والتوضيح، ويستعرضُ الأدلةَ القاطعةَ على أحقيتهم بهذه المكانةِ الرفيعةِ في تفسيرِ كتابِ اللهِ، كحديث الثقلين. وقد أبانَ التحليلُ عن عمقِ ودقةِ الاستنباطِ الأصوليّ واللغويّ لديهم في استخراجِ الأحكامِ الشرعيةِ، مثل مسألة المسح في الوضوء والخمس، مما يدللُ على فهمهم العميمِ لأسرارِ التشريعِ ومقاصدِهِ. واكد البحث على التأكيدِ الجازمِ على أصالةِ المنهجِ المأثورِ ومرجعيةِ أهلِ البيتِ الثابتةِ في فهمِ القرآنِ الكريمِ. تهدفُ هذه النتائجُ مجتمعةً إلى ضمانِ فهمٍ سليمٍ ومستقيمٍ لكتابِ اللهِ، بعيداً عن الأهواءِ الشخصيةِ والاجتهاداتِ غيرِ المنضبطةِ.

الكلمات المفتاحية: (التفسير، أهل البيت، علوم القرآن، المنهج التفسيري).

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

The Interpretive Approach of the Ahlul-Bayt (peace be upon them) in Understanding the Holy Qur'an (An Analytical Study in Light of Shi'a Exegesis)

Dr. Muhammad Jaber Alwan
University of Babylon / College of Islamic Sciences – Department of Jurisprudence and its Principles
said.mh.1973@gmail.com

Abstract

The science of Qur'anic exegesis is a fundamental pillar of Islamic knowledge, concerned with revealing God's intent in His revelation to His noble Prophet and ensuring guidance for humanity. This research comprehensively examines the diverse linguistic and terminological concepts of exegesis, reviewing the prominent methodological approaches employed. Foremost among these approaches is "interpretation based on transmitted reports" (tafsir bil-ma'thur), considered the most reliable and accurate foundation, as it derives its explanations from the Holy Qur'an itself, the Prophetic Sunnah, and the sayings of the Companions and their Successors. In contrast, the research also addresses the method of "interpretation based on personal opinion" (tafsir bil-ra'y), both its acceptable and unacceptable forms, while establishing precise criteria for distinguishing the acceptable form that aligns with the intent of Islamic law. This research sheds light on the role of the Ahlul-Bayt (peace be upon them) as an authentic and qualified scholarly authority for explanation and clarification. It presents conclusive evidence of their rightful place in interpreting the Book of God, such as the Hadith of the Two Weighty Things (Thaqalayn). The analysis reveals the depth and precision of their jurisprudential and linguistic deduction in deriving legal rulings, such as the issue of wiping during ablution and the khums (one-fifth tax), demonstrating their profound understanding of the secrets and objectives of Islamic law. The research firmly affirms the authenticity of the transmitted methodology and the established authority of the Ahlul-Bayt in understanding the Holy Quran. These findings collectively aim to ensure a sound and correct understanding of the Book of God, free from personal biases and undisciplined interpretations.

Keywords: (Interpretation, Ahlul-Bayt, Quranic Sciences, Interpretive Methodology).

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

المقدمة

يُعد علم التفسير من أجلّ العلوم الإسلامية وأعظمها، إذ يتعلق بفهم كلام الله تعالى المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وتهدف عملية التفسير إلى بيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه لغوياً، يعود أصل كلمة (تفسير) إلى مادة (فسر) التي تعني الكشف والإبانة والإيضاح، وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾ " الفرقان: ٣٣" اصطلاحاً، تعددت تعريفاته؛ فعرفه الإمام الزركشي بأنه علم يشمل كل ما يتعلق بالقرآن من نزول الآيات والسور وأقاصيصها، ومكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وغيرها من العلوم ويعرف علم تفسير القرآن عند السيوطي بأنه فرع معرفي يُعنى بدراسة أحوال القرآن الكريم، مع التركيز على دلالاته التي تكشف عن مقاصد الله سبحانه وتعالى، بما يتوافق مع حدود الفهم البشري وإمكاناته العقلية بينما عرفه العلامة الطباطبائي بأنه بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها ومداليلها وقد عرف أبو حيان الأندلسي التفسير بأنه علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب استنبط من آيات القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال الصحابة والتابعين، وهو أشرف أنواع التفسير وأجلها على الإطلاق، لأن قائل الكلام أدرى بمقاصده وقد استخدم النبي صلى الله عليه وسلم هذا المنهج، كأن يفسر الظلم في آية ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ بالشرك، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾. أما التفسير بالرأي، فيعتمد على اجتهاد المفسر ومعرفته بقواعد اللغة العربية وأصول الفقه، وينقسم إلى رأي محمود ورأي مذموم الرأي المذموم هو التفسير بالهوى دون علم، بينما الرأي المحمود هو ما كان موافقاً لقصد الشارع الحكيم ومتمشياً مع قواعد اللغة وأصولها ويبرز دور أهل البيت عليهم السلام كمرجعية علمية في التفسير، وقد دلت على ذلك أحاديث كثيرة كحديث الثقلين . فهم ورثة علم الرسول صلى الله عليه وسلم، وعندهم أبواب الحكم وضياء الأمر وقد قدموا منهجاً تفسيرياً دقيقاً، يعتمد على فهم عميق للغة والنحو وأسرار التشريع ومن نماذج تفسيرهم للآيات التي وقعت موضع خلاف: مسألة المسح في الوضوء؛ فقد بين الإمام الباقر عليه السلام أن المسح ببعض الرأس هو

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

الواجب لوجود حرف "الباء" في قوله تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾، بخلاف الغسل في الوجه والأيدي الذي جاء الفعل فيه متعدياً بنفسه، وكذلك أفتوا بأن ظاهر الكتاب هو المسح على الأرجل استناداً إلى عطفها على الرؤوس وليس على الأيدي، سواء قرئت بالخفض أم بالنصب وفي مسألة قصر الصلاة، بينوا أن الآية الواردة في صلاة الخوف لا تمنع تعميم القصر للمسافر في حالة الأمن، لأن ذكر الخوف جاء مخرجاً للأعم الأغلب في أسفارهم كما ذهبوا في تفسير آية الخمس إلى شمولها لكل ما يغنمه الإنسان من تجارة وصناعة وزراعة مما هو فاضل عن مؤونته السنوية، وليس فقط غنائم الحرب هذه النماذج وغيرها تؤكد على عمق فهمهم ودقة استنباطهم للأحكام الشرعية من كتاب الله تعالى.

مشكلة البحث

إنَّ مشكلة البحث تكمن في الاختلاف والتنوع الكبير والملحوظ في مناهج التفسير وآلياته عبر العصور، مما أدى إلى تباين في فهم بعض الآيات واستنباط أحكامها. يبرز هذا التباين بشكل خاص عند المقارنة بين منهج التفسير بالمأثور، القائم على القرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين، ومنهج التفسير بالرأي، القائم على الاجتهاد اللغوي والأصولي. كما تظهر الحاجة الماسة لتوضيح دور مرجعية أهل البيت عليهم السلام في التفسير، وإبراز الأسس التي اعتمدوها كمنهج تفسيري متميز للوقوف على دلالات بعض الآيات التي وقعت موضع بحث وجدل، مثل آيات الوضوء وقصر الصلاة والخمس وتحريم الخمر.

أهمية البحث

إنَّ اهميه البحث تتوضح في التأكيد على أن أصدق تفسير لكتاب الله هو كلام الله نفسه، لأن المتكلم أدرى بمقاصد كلامه كما ان البحث يساهم في تأصيل منهج التفسير لدى سلف الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة أهل البيت، وإبراز الأسس التي اعتمدوها. ويقدم نماذج تطبيقية لكيفية معالجة الاختلافات الفقهية والتفسيرية بناءً على أصول راسخة وثابتة. ويوضح أن أهل البيت يمثلون مرجعية أساسية في التفسير، استناداً إلى الأدلة النقلية والعقلية.

أهداف البحث

يهدف البحث الى بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي الدقيق للتفسير، وإبراز جوهره ككشف عن معاني القرآن ومقاصده وكذلك التعرف على أنواع التفسير الأساسية (بالمأثور وبالرأي) ونقاط الاختلاف والاتفاق بينهما. ويوضح الدور المحوري لأهل البيت عليهم السلام كمرجعية علمية في تفسير القرآن الكريم، وبيان الأدلة على ذلك.

منهج البحث

اعتمد الباحث على المنهج التحليلي والاستقرائي، حيث تم استقراء النصوص الواردة والتي تتناول مفهوم التفسير ومناهجه ودور أهل البيت فيه. ثم تم تحليل هذه النصوص والمعلومات الواردة فيها لاستخلاص التعاريف، والأسس، والأمثلة التوضيحية. كما تم استخدام المنهج المقارن عند الإشارة إلى الاختلافات بين المذاهب في بعض الأحكام.

المبحث الأول – مفهوم التفسير والمنهج التفسيري

مفهوم التفسير

أولا – التفسير لغة

إنَّ المعنى اللغوي للتفسير إلى الكشف، والإبانة، والإيضاح، وإظهار المعنى (الكنهل ،١٤٣٩ :١٥)

قال تعالى" ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (٣٣)﴾ [سورة الفرقان: الاية ٣٣]

وقال الراغب الاصفهاني: المصطلح (السفر) يدل على كشف الشيء وإظهاره، ويُستخدم هذا المعنى خصوصًا عند الحديث عن الأشياء الملموسة؛ مثل كشف الغطاء عن الرأس أو الوجه. أما (الاسفار) فيشير إلى ظهور اللون، كما في وصف ضوء الصبح عند إشراقه. ويُستعمل فعل (سافر) للدلالة على انكشاف الشخص عن مكانه، ويأتي في صيغة المفاعلة للدلالة على أن الشخص والمكان على حد سواء قد تم كشفهما أو انكشافهما (الاصفهاني ،١٩٩٢ : ٤١٢).

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

وعرفه ابن منظور: "فسر: الفسر: البيان. فسر الشيء يفسره، بالكسر، ويفسره، بالضم، فسرا وفسره : أبانه والتفسير مثله "(ابن منظور ، ٢٠٠٣: ١٨٠)

يُعرَّف التفسير على أنه عملية توضيح المعاني وإزالة الغموض في الكلام، بحيث يتم التعبير عن المعنى بأسلوب أبسط وأكثر وضوحًا من النص الأصلي. ويهدف التفسير إلى كشف ما قد يكون مبهمًا أو غامضًا في النص، بما يسهم في فهمه وإدراك مقصده بدقة.

(الكفوي، ١٩٩٨: ٢٦٠)

يُطلق على الكتابة مصطلح (السفر) ، وعلى الكتاب نفسه مصطلح (السفرة) ، للتعبير عن قدرتها على كشف ما يرغب الكاتب في إيصاله وإظهار مقصده بوضوح.

(ابن فارس ، ١٩٧٢ :٨٢)

ثانياً- التفسير اصطلاحا

كما ان العلّامة الطباطبائي أضاف المقاصد والمداليل إلى البيان فقال:"التفسير: هو بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها ومداليلها" (الطباطبائي ،١٩٧٢ :٤)

عرَّفه الزركشي بقوله:(علمٌ يُعرف به فهم كتاب الله المنَزَّل على نبيه محمد، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكَمه(الكنهل، ١٤٣٩ : ١٦)

كما عرفه عدد من العلماء علم التفسير على أنه العلم الذي يختص بدراسة جميع الجوانب المتعلقة بالقرآن الكريم، بما في ذلك فهم سياق نزول الآيات وأسبابها، وتمييز أحكامها بين مكيّة ومدنيّة، ومحكمها من متشابهها، وناسخها من منسوخها، وخصائصها العامة والخاصة، ومطلقها من مقيدها، ومجملها من مفصّلها، وحلالها من حرامها، بالإضافة إلى فهم الوعيد والوعد فيها، والأوامر والنواهي، واستنباط العبر والأمثال الواردة فيها (السيوطي ،٢٠١٠ :١١٩١)

وقد تناول أبو حيان الأندلسي هذا الموضوع في كتابه، مستعرضًا جوانب علم التفسير وبيان مقاصده ومبادئه تعرف التفسير اصطلاحاً علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك

(الاندلسي ،١٤١٣ :٢٦)

وعر فه الامام الزركشي (علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبييه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه واستخراج أحكامه) (الزركشي ،١٩٩٠ :١٣)

تعريف المنهج التفسيري

يمكن القول إنّ الأصل الدلالي الواحد لمادة "نهج" يتمثل في معنى الوضوح والبيان، سواء أكان ذلك في المجال المادي أم في المجال المعنوي. وان هذا المعنى يشمل كل ما يتصف بالظهور والجلاء، كالطريق المحسوس، أو البرنامج المنظم، أو المسار والسير المنتظم، فضلاً عن النظم الفكرية والعقدية. ومن أبرز مصاديق هذا الأصل: الطريق الواضح المعالم، والأمر المحدد المتميز، والبرنامج الشامل المتسم بالوضوح، والدين المتجلي في معالمه ومقاصده. ويُلاحظ أن هذا المعنى الجامع ينسجم مع الاستعمالات اللغوية التي تُوصَف فيها الطرق أو الأمور أو البرامج بهذه المادة، فيقال: "طريق نهج" أو "أمر نهج" وهو ما يدل على أن المادة تضيف معنى الوضوح والبيان إلى الموصوف، ولا تكون مجرد مرادف له في ذاته. (المصطفوي ،٢٠٠٩ :٢٥٨)

المبحث الثاني – دور اهل البيت في تفسير القرآن الكريم

تُعدّ العترة الطاهرة خلفاء للكتاب وحملة لعلوم الرسول، إذ يواصلون نقل المعرفة الدينية والحفاظ على تعاليمه وفهمها وتفسيرها للأجيال اللاحقة (صلى الله عليه واله وسلم): قال رسول الله (ص): (اني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض..»، وقال: «ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا).

(الفيروزآبادي ، ٢٠٠٣ : ٣٤-٥٦)

" يُعدّ هذا الحديث من النصوص ذات التداول الواسع في التراث الإسلامي، وقد ورد بصيغة خطاب عام يتجاوز إطار الزمان والمكان ليشمل الأمة بأسرها. وهو يقدّم تصوراً معيارياً لمعالم الهداية في حياة الإنسان، من خلال ربط الاستقامة والنجاة باتباع منهج معيّن، مقابل ربط الانحراف والضلال بالإعراض عنه، مع إبراز موقع أهل البيت بوصفهم مرجعية دينية ومعرفية يُستند إليها في فهم الدين وتوجيه السلوك" (الفيروزآبادي ، ٢٠٠٣ : ٥٦- ٥٩)

"ومفاد عدم الافتراق بينهما أن الاكتفاء بأحدهما وإغفال الآخر لا يحقق الهداية المنشودة؛ فالقرآن الكريم يتضمن أصول التشريع وقواعده العامة، في حين يتكفّل البيان والتفصيل بتوضيح تلك الأصول وتنزيلها على الواقع، وهو دور اضطلعت به العترة الطاهرة من أهل بيت الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وكما كان دور النبي في القرآن مقتصراً على التبليغ والبيان، امتد هذا الدور بعده في أهل بيته، فكانوا امتداداً علمياً وتشريعياً يسهم في حفظ معاني الشريعة وتجلية مقاصدها، وضمان فهمها فهماً منضبطاً ومستقيماً" (الكليني ، ١٩٨٩ : ١٩٠)

مرجعية أهل البيت (عليه السلام) في التفسير

يتضح أن سبيل فهم القرآن الكريم ليس مقطوعًا أو مسدودًا، إذ يشكل القرآن نفسه والذكر الحكيم دليلاً هاديًا إلى معانيه. ومع ذلك، يبرز التساؤل حول مدى قدرة الأفراد على إدراك هذه المعاني من غير توجيه أو هداية من قبل الرسول وأهل بيته عليهم السلام وتوضح النصوص والأحاديث، ومن بينها حديث الثقلين، أن الهداية التي يقدمها أهل البيت هي الضامن للطريق الصحيح لاستخراج معارف القرآن وفهم مقاصده. فدورهم يتمثل في توجيه الأجيال وضمان سلامة المنهج المتبع في التفسير. ويؤكد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هذه المرجعية حين يشير إلى أهل البيت بأنهم "أبواب الحكم وضياء الأمر مما يعكس موقعهم المحوري في فهم وبيان الشريعة والإرشاد إلى معاني الكتاب الكريم.(الرضي، ١٩٦٧ :٢٣٣)

وأشار أيضًا إلى مكانة أهل البيت عليهم السلام باعتبارهم امتدادًا للشجرة النبوية ومحط الرسالة، ومجتمعين عندهم مراتب العلم والحكمة، حيث يمثلون مصادر رئيسية للمعرفة ومنافذ للهداية الروحية والفكرية (الرضي، ١٩٦٧ :٢١٥)

وكذلك قوله (عليه السلام) أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا، كذبا وبغيا علينا أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرمهم، وأدخلنا وأخرجهم بنا يستعطى الهدى ويستجلى العمى، إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم، لاتصلح على سواهم، ولا تصلح الولاة من غيرهم(الرضي ، ١٩٦٧ :٢٧)

تُبرز هذه الأقوال وتؤكد كفاءة أهل البيت عليهم السلام، وتؤسس لمرجعيتهم الفكرية، إذ إنهم يمثلون امتدادًا لسلالة النبوة مع الإمام علي عليه السلام كمصدر رئيسي للعلم والحكمة. فهم مرجع للمعرفة ومأوى للهدى، حيث يُستمد منهم العلم وتُفهم على ضوءه أحكام الدين. ويُظهر دورهم في توصيل المعرفة من خلال تعليمهم للأحكام وعلمهم العملي والنظري مع الاتساق الكامل مع الدين وعدم التناقض فيه . مما يجعلهم شاهدًا صادقًا ومرجعًا موثوقًا لفهم الحقائق الدينية والشرعية .... (الرضي ، ١٩٦٧ :٣٢)

تشير هذه الأقوال إلى أن أهل البيت عليهم السلام تمسكوا بالقرآن الكريم باعتباره المصدر الأساسي لكافة المعارف الإلهية، وجعلوه نموذجًا لسلوكهم وأفعالهم، فصاروا بحق حملة للقرآن وموصولين بعلم الله ورحمته. وتؤسس هذه الروايات وغيرها لمكانة أهل البيت عليهم السلام كمرجع معرفي شامل، لا سيما في مجال تفسير القرآن الكريم. ويظهر ذلك بوضوح عند مراجعة كتاب نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام) حيث يمكن استنباط المبادئ الأساسية لهذه المرجعية. ومن أبرز هذه الأسس ما ورد في وصيته لابن عباس، التي بين فيها أن القرآن يحتمل وجوهًا متعددة، وأن بعض معانيه لا يمكن إدراكها إلا من خلال بيان أهل البيت المعصومين عليهم السلام، بينما يمكن فهم بعض معانيه الأخرى بدون الحاجة إلى ذلك، إذ أن ظاهر ألفاظه واضح ولا يخفي معنى... (الحلي، ١٩٦٠ : ٣٧٣)

قال عليه السلام لابن عباس عندما بعثه للاحتجاج على الخوارج: (لاتخاصمهم بالقرآن فأنَّ القرآن حمال ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكنْ حاججهم بالسنة فأنَّهم لنْ يجدوا عنها محيصاً).

(ابي الحديد ،١٩٥٩ : ٧١)

يعني ذلك أن القرآن الكريم يحتوي على معانٍ يمكن فهمها باستخدام الأدوات المتاحة، وأخرى يختص بيانها المعصوم، وجزء يستلزم التوقف والتأمل في تفسيره. ويمكن تصنيف وجوه التفسير إلى أربعة أقسام: الأول ما يلزم الجميع معرفته من الأحكام الأساسية والدلائل الجوهرية، الثاني ما يمكن إدراكه من خلال اللغة وفهم ألفاظ الكلام، الثالث ما يتطلب معرفة العلماء مثل تأويل

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

المتشابه وفروع الأحكام، والرابع ما يظل غيبًا لا يطلع عليه إلا الله، كالأمور الغيبية وقيام الساعة..... (أبو الفداء، ١٩٩٩ : ١٠)

ويُقصد بهذا القسم من التفسير أنه لا يمكن فهمه أو إدراكه إلا بعد أن يكشف الله معانيه لمن يختاره من الأمناء، بحيث يظل بعيدًا عن الإدراك البشري العادي دون توجيه إلهي. عليه بدليل قوله تعالى:﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلاَّ مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً ﴾ (الجن، ٢٦، ٢٧.)

كما يظهر من تقسيم الإمام عليه السلام لوجوه التفسير (وقسماً لايعلمه إلا الله وملائكته والراسخون في العلم وإنما فعل ذلك لئلا يدعى أهل الباطل المستولين على ميراث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من علم الكتاب ما لم يجعله الله لهم، وليقودهم الاضطرار إلى الايتمام بمن ولى أمرهم) (العاملي ، ١٩٨٩: ١٤٣)

خصص الإمام علي (عليه السلام) هذا القسم من وجوه التفسير لله تعالى ولمن اختارهم من أمناء الوحي، ليكون هذا القسم جزءًا محددًا من فهم القرآن لا يصل إليه إلا المختصون. وقد أوضح الإمام علي (عليه السلام) أن هذا القسم يحتاج إلى عالم صافي الذهن، رقيق الحس، قوي التمييز، ممن فتح الله صدره للهداية، بحيث يمكنه فهم المعاني العميقة التي لا يدركها الآخرون. (العاملي، ١٩٨٩: ١٤٣)

منهج التفسير في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام

اولا: مفهوم تفسير القرآن بالقرآن

إن القرآن المجيد كتاب مستمر للجميع يخاطب الكل ويرشدهم إلى مقاصده وقد تحدى في العديد من آياته على الإتيان بمثله واحتج بذلك على الناس ، ووصف نفسه بأنه النور والضياء والتبيان لكل شيء، لذلك لاشك أن أكمل مصدر لتوضيح القرآن الكريم هو القرآن نفسه، لأنه بعضه يشهد على الآخر(جصاص ،١٩٧٦: ١٠١١) وإنَّ كله متصل ببعض (الازرقي ، ١٩٨٢ : ٣٠٨)

يعد منهج تفسير القرآن بالقرآن من أقدم المناهج التفسيرية، وكان من أول الأساليب التي استخدمها الرسول الكريم لتوضيح معاني النصوص، حيث تم تفسير بعض الآيات بآيات أخرى.

وقد سار على هذا النهج أئمة أهل البيت وبعض الصحابة ومن تبعهم من التابعين، واستمر هذا الأسلوب في التأويل عبر العصور. ونال أيضا إجماع العلماء وعرف أن تكون النصوص القرآنية بعضها مفسرة للآخر، وإذا ما علمنا أن التفسير هو بيان معاني النص القرآني، ففي ضوء هذا المنهج فيكون النص القرآني منكشف معانيها ومفسر بنص آخر.

(الحسن ، ١٩٩٠ : ٣٩)

يُعد تفسير القرآن بالقرآن من أقدم طرق التفسير، ويعود استخدامه إلى زمن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد اعتمده الأئمة وبعض الصحابة والتابعون. ومن أمثلة هذا النوع من التفسير، حين تم سؤال النبي عن معنى "الظلم" في الآية الكريمة: [ولم يلبسوا إيمانهم بظلم]، فأوضح ذلك بالرجوع إلى قوله تعالى: ﴿ إن الشرك لظلم عظيم﴾ ليدل على أن المقصود بالظلم في الآية الأولى هو الشرك المشار إليه في الآية الثانية.(ابن كثير ، ١٩٩٣ : ٤٤٤)

أهميه التفسير القرآن بالقرآن

وترجع هذه الأهمية إلى عدة أسباب، أولها أن أدق تفسير للقرآن الكريم هو القرآن نفسه، إذ أن المعنى الأصلي للكتاب صادر عن المتحدث به، فلا يمكن أن يكون التفسير أصدق من المصدر ذاته أدرى بمعانيه وأهدافه ومقاصده من غيره، فإذا تبين مراد القرآن من القرآن فلا يعدل عنه إلى غيره ، وقد ذكر الشنقيطي إجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله ، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جل وعلا من الله جل وعلا.

(الزمخشري ، ١٩٨٤ : ٣)

وهذا الأمر واضح من الناحية اللغوية والعرفية والشرعية، إذ إن فهم بعض آيات القرآن بشكل تام يعتمد على توضيح آيات أخرى، حيث يُظهر النص القرآني ذاته معانيه من خلال مقارنته بمواضع أو سور أخرى، مما يعكس أهمية التفسير بالقرآن نفسه في إدراك المقاصد الصحيحة للنصوص.(الرازي ، ١٩٨٨ : ٢٥٤)

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

الثاني: استعمال النبي (صلى الله عليه وسلم) لهذا الطريق واكتسابه الجانب التأصيلي جعله منهجاً تفسيرياً سار عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين وأتباعهم؛ ففي المنقول عنهم من أمثلته الشيء الكثير.

الثالث: استخدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهج تفسير القرآن بالقرآن، حيث وردت عنه عدة مرويات فُسرت فيها بعض الآيات بآيات أخرى، مما يدل على صحة هذا الأسلوب وأهمية تأسيسه في علم التفسير.

وقد قسم العلماء التفسير إلى نوعين رئيسيين: التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، ويطلق على الثاني أيضًا التفسير الدراية، بينما أضاف بعضهم نوعًا ثالثًا يُعرف بالتفسير الإشاري، إلا أن هذا النوع لم يُجمع عليه. ويُعرف التفسير بالمأثور بأنه كل تفسير يستند إلى آيات القرآن، أو السنة النبوية، أو ما ورد عن صحابة الرسول، ويضيف بعض العلماء أقوال التابعين أيضًا. أما التفسير بالرأي، فيعتمد على اجتهاد المفسر ومعرفته بقواعد اللغة والأصول وغيرها، وهو أكثر انتشارًا بين كتب المفسرين وله ضوابط محددة. من أبرز المفسرين بالمأثور: ابن جرير الطبري الذي يُعتبر من رواد التفسير، وابن عطية الأندلسي الذي اهتم بتفسير القرآن بالقرآن، وبالحديث، وأقوال الصحابة والتابعين. أما من أبرز المفسرين بالدراية أو الرأي: الإمام الزمخشري، الذي كان متميزًا في اللغة العربية والبلاغة، ومهّد الطريق للتفسير بالرأي، وقد أثّر تفسيره في كثير من المفسرين اللاحقين مثل الإمام الرازي، والبيضاوي، وأبي السعود، والنسفي...(الحسن ، ٢٠٠١ : ٢٦٠)

ينبغي التمييز بين التعارض الظاهر والمحمود بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي. فالتعارض المحمود لا يعني التناقض الكامل بينهما بحيث يدل أحدهما على إثبات والآخر على نفي، كما لو حال أحدهما دون فهم الآخر. أما إذا لم يكن هناك تنافٍ حقيقي، فإن اختلاف الأساليب أو التأويلات لا يُعد تعارضًا. فعلى سبيل المثال، اختلاف طرق تفسير (الصراط المستقيم) بالقرآن أو السنة، أو بتوضيح العبودية والطاعة لله ورسوله، لا يخل بالمعنى الكلي، فهذه التأويلات مختلفة لكنها متكاملة. وكذلك الأمر في تفسير الآية: {فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ}؛ فقد وردت فيها عدة تفسيرات توضح اختلاف الأحوال والخلفيات دون

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

تعارض حقيقي في المعنى، بل تعكس تنوعًا في فهم الصفات والمقامات الإنسانية بين الظالم والمقتصد والسابق للخيرات.وقد سجلت هذه الأقسام المختلفة في كتب التفسير، ومنها ما ورد في مخطوط تحفة الأحباب لعلي بن محمد بن عمر التونسي، مما يوضح استمرار البحث والاجتهاد في تفسير المعاني القرآنية مع الحفاظ على وحدة المضمون والغاية. في تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ ﴾

إذا ثبت ذلك فإن التفسير بالمأثور الذي يستند إلى نص قطعي لا يمكن أن يتعارض مع التفسير بالرأي، إذ يكون الرأي إما ظنيًا أو قطعيًا مستندًا إلى دليل عقل أو نقل، فإذا كان الرأي قطعيًا، فلا يوجد تعارض بين الدليلين القطعيين. بل يُؤوَّل المأثور بحيث يتوافق مع الرأي المستند إلى القطعي إذا أمكن الجمع بينهما. وإذا تعذّر الجمع، يُحمّل نص المأثور بما يوافق ما يقتضيه الرأي والاجتهاد، مع تقديم الأرجح على المرجوح..(الزرقاني، ١٩٨٢ : ٦٣-٦٤)

التفسير بالمأثور : هو كل ما ورد في القرآن أو السنة أو عن الصحابة أو التابعين بهدف توضيح مراد الله تعالى من كتابه.(الزرقاني، ١٩٨٢: ١٢)

إذن؛ فهو التفسير المنقول عن الرسول، أو الصحابة، أو التابعين، فهو يشمل تفسير هذه الأجيال الثلاثة من حملة العلم ونقلته. فهو جزء من علم رواية الحديث سواء كان مرفوعا إلى النبي ، أو موقوفا على الصحابي أو مقطوعا على التابعي. ويشترط فيه ما يشترط في علم الحديث من ضوابط النقل وصحته " (السيوطي، ١٩٩٥ : ١١٠)

١ – مثال ما جاء في القرآن: قوله تعالى: "﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ .الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ وَآيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾" (البقرة)، فإنَّ كلمة مِنَ الْفَجْرِ بيان وشرح للمراد من كلمة الْخَيْطُ الأَبْيَضُ التي قبلها. وقوله تعالى: "﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾" فإنها بيان للفظ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ من قوله سبحانه: "﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾" (المائدة).

٢- ومن الأمثلة على ما ورد في السُّنَّة من بيانٍ لمعاني القرآن توضيح المقصود بالظلم في الآية الكريمة، حيث بُيّن أن المراد به الشرك، وذلك على سبيل التفسير والتوضيح لمعنى اللفظ القرآني. كقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢]، وأيد تفسيره هذا بقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ، وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان] (البخاري، ١٩٩٥: ٤٧٧٦)

كما فسّر الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) مصطلح "القوة" بأنه يشير إلى مهارة الرمي. في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠) (الحجاج ، ١٩٩٥ : ١٩١٧)

٣-أما تفسير الصحابة للقرآن الكريم، فإنه يُرجع إليه في حال عدم وجود تفسير مباشر في القرآن أو السنة، إذ يُعتبرون أكثر دراية بمعاني القرآن لما عايشوه من أحواله، ولما تميزوا به من فهم صحيح وعلم كامل، إضافة إلى عملهم الصالح، وخاصة كبار علماء الصحابة وخلفائهم الأئمة الأربعة، ومن بينهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

قال الطبري: عن مسروق قال: قال عبد الله – يعني: ابن مسعود: «والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله، إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته، وقال الأعمش أيضًا عن أبي وائل، عن ابن مسعود قال: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن (ابن تيميه، ١٩٨٨ : ٢٥٤)

وقال الحاكم في(المستدرك):" ليعلم طالب هذا العلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عند (الشيخين) حديث مسند "(النيسابوري ،١٩٨٧: ٢٨٣)

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

أما ما يُنقل عن التابعين فقد اختلف العلماء في اعتباره، فبعضهم رأى أنه من المأثور لأنه غالبًا ما نُقل عن الصحابة، بينما اعتبره آخرون تفسيرًا بالرأي، ويظهر في تفسير ابن جرير الطبري عدد كبير من النقول عن الصحابة والتابعين لبيان معاني القرآن الكريم...

(الزرقاني ، ١٩٨٢ : ١٣)

لكن يجب أن يعلم أنَّ هذا مشروط بصحة السند عن الرسول ﷺ أو عن الصحابة رضوان الله عليهم.

التفسير بالرأي

التفسير بالرأي نوعان: نوع محمود ونوع مذموم.

يُقصد بالتفسير المذموم تناول معاني القرآن الكريم من غير امتلاك أدوات العلم اللازمة، أو إخضاع النص لفهم تحكمه الميول الشخصية والتوجهات المذهبية، مع ضعف في المعرفة اللغوية أو قصور في إدراك مقاصد التشريع. أو تحميل النص دلالات لا تنسجم مع قدسيته، أو الخوض في قضايا لم يُجعل للإنسان سبيل إلى الإحاطة بعلمها. وهذا النوع من التفسير يُعد منحرفًا عن المنهج الصحيح، لما يترتب عليه من فساد في الفهم، إذ إن الانتفاع الحقيقي بالقرآن لا يتحقق إلا لمن تجرد من الأهواء، وسلم من الكبر والانحراف، واتصف بالاستقامة العلمية والخلقية كقوله تعالى : تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾

أما التفسير بالرأي المحمود، فهو ذلك الذي يتوافق مع مقصد المشرع الحكيم، ويبتعد عن كل انحراف أو ضلالة ، وجهالة متمشيا مع قواعد اللغة العربية متفهما لأساليبها في عرض الآيات تكون التفسيرات القرآنية صحيحة ومقبولة ما دامت خالية من الهوى والرغبة في السمعة، ومبنية على الصدق والأمانة، بحيث يكون الهدف الأساسي منها خدمة كلام الله تعالى وبيان معانيه بموضوعية وإخلاص..(محمد ،١٩٩٩ : ١٣٧)

الرأي مصدر رأى رأياً، مهموز، ويجمع على آراء وأرداء. والرأي التفكر في مبادئ الأمور، ونظر عواقبها، وعلم ما تؤول إليه من الخطأ والصواب..(الواحدي ، ٢٠٠٠ : ٩٣- ٩٧)

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

البحث الثالث – نماذج من تفسير أهل البيت للقرآن الكريم

ولذلك سنبدأ بعرض أمثلة من النوع الأول لملاءمتها لهذا المجال، ثم ننتقل بعد ذلك إلى نماذج من النوع الثاني إن شاء الله تعالى

مسح الرأس

روى ثقة الإسلام أبو جعفر الكليني بإسناده عن طريق علي بن إبراهيم إلى زرارة، أن زرارة سأل الإمام الباقر (عليه السلام): "هل تخبرني من أين عرفت أن المسح يكون ببعض الرأس؟" فابتسم الإمام (عليه السلام) ثم أجاب بأن رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أوضح ذلك، ونزلت الآيات الكريمة التي فصلت هذا الحكم. فقد ورد قوله تعالى: (فاغسلوا وجوهكم)، فدل ذلك على وجوب غسل الوجه كله، ثم قال: (وأيديكم إلى المرافق)، ففرق بين الحكمين. وعندما قال: (وامسحوا برؤوسكم)، دلّت صياغة الآية واستخدام حرف الباء على أن المسح يكون ببعض الرأس لا كله.(الكليني ، ١٩٨٦: ٣٠)

قوله تعالى: "﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٦) ﴾" (المائدة : ٦)

روى ثقة الإسلام أبو جعفر الكليني بإسناده عن طريق علي بن إبراهيم إلى زرارة أن الأخير توجه بالسؤال إلى الإمام الباقر (عليه السلام): "ألا تخبرني من أين عرفت أن المسح يكون ببعض الرأس؟" فضحك الإمام ثم أجاب قائلاً إن رسول الله صلى الله عليه وآله أوضح ذلك، ونزلت الآيات الكريمة التي فصلت الحكم. فقد ورد قوله تعالى: ﴿ فاغسلوا وجوهكم﴾ فدل ذلك على وجوب غسل الوجه كله، ثم قال: "﴿وَأَيْدِيكُمْ إلى الْمَرَافِقِ﴾ " ثم فصل بين الكلامين فقال: "﴿وَامْسَحُوا بِرُؤوسكم﴾" (سورة المائدة: ٦) فعرفنا حين قال: برؤوسكم أن المسح ببعض الرأس؛ لمكان الباء).. (الكليني ، ١٩٨٦: ٣٠)

يعني ذلك أن الأسلوب تغيّر بإضافة حرف الباء بين الفعل ومتعلقه، رغم أن الفعلين (الغسل والمسح) متعديان بذاتهما، كما في قولنا: (مسحه مسحًا) و(غسله غسلًا) وهذه الزيادة لا تلزمها الظاهر، لكنها تحمل دلالة معنوية، إذ غالبًا ما تشير زيادة المباني إلى زيادة المعاني. وقد أشار الكليني إلى هذا المعنى الخفي، حيث استنبط أن حرف الباء هنا يفيد معنى التبعيض في المكان الممسوح. فإذا قيل: (وامسحوا رؤوسكم) لاقتضى ذلك المسح الكامل للرأس كما في غسل الوجه، أما بقول: "وامسحوا برؤوسكم" فيشير إلى أن التكليف يقتصر على مسح جزء من الرأس فقط. : أن "يتحقق التكليف بمجرد إمرار اليد المبللة على أول جزء من الرأس، بحيث يكتمل الربط بين الفعل والممسوح، ويُعتبر المكلف قد أتم ما عليه، دون حاجة لتكرار الفعل، وفق المبادئ المعتمدة في علم الأصول".

مسح الرجلين

تُعد مسألة مسح الأرجل في الوضوء من القضايا التي أثارت جدلاً في التفسير والعلوم الشرعية، إذ اختلفت القراءات بين المخفضة التي ترى توافقها مع مذهب الشيعة الإمامية في وجوب المسح، والمرفوعة التي يوافق عليها باقي المذاهب. لكل فريق أدلته المستمدة من اللغة العربية والسنة والأدب التراثي، غير أن ما ورد عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) يؤكد أن القرآن نزل بأمر المسح على الأرجل، وقد نقلت هذه الأحكام عن طريق جبريل (عليه السلام)، وطبّقها الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وأمير المؤمنين وأولاده الأطهار، كما التزم بها خيار الصحابة والتابعون. وقد ورد في ذلك عن طريق الشيخ الطوسي بإسناده الصحيح أن سالم وغالب بنو هذيل رويا عن أبي جعفر (عليه السلام) أنه أجاب على سؤال حول المسح على الرجلين بأنه هذا ما نزل به جبريل (عليه السلام).(الطوسي ، ١٩٤٧ : ٦٤)

تُعد مسألة مسح الأرجل في الوضوء من القضايا الدقيقة التي أثارت اهتمام العلماء في مجال التفسير والعلوم الشرعية، مستندة إلى كتاب الله تعالى. فقد اختلفت القراءات؛ إذ يرى بعض العلماء أن القراءة بالخفض تتوافق مع مذهب الشيعة الإمامية في وجوب المسح، بينما تتوافق القراءة بالنصب مع باقي المذاهب، مع توفر أدلة لكل فريق من السنة ولغة العرب وتراثهم

العلمي. غير أن ما ورد عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في تفسير الآية يوضح أن القرآن نزل بأمر المسح على الأرجل، وقد نُقل هذا الحكم عن طريق جبريل (عليه السلام)، وطبّقه الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وأمير المؤمنين وأولاده الأطهار، كما التزم به خيار الصحابة والتابعون. وقد أشار الشيخ الطوسي بإسناده الصحيح إلى أن سالم وغالب بنو هذيل سألا أبي جعفر عليه السلام عن المسح على الرجلين، فأكد أن هذا ما نزل به جبريل (عليه السلام).. (الطوسي، ١٩٤٧ : ٦٤)

يشير ظاهر النص القرآني إلى وجوب مسح الرجلين باعتباره معطوفًا على المسح على الرأس، ولا يجوز اعتباره معطوفًا على الوجوه أو الأيدي، لكون ذلك يقتضي الفصل بالأجنبي، وهو غير جائز في سياق القرآن. ويظل هذا المعنى قائمًا سواء قرئ النص بالخفض أو بالنصب، فقراء الخفض مثل ابن كثير وأبو عمرو وحمزة من القراء السبعة، وشعبة أحد رواة عاصم، يدل ظاهر قراءتهم على المسح لبعض الأرجل كما في الرأس. أما قراءة النصب فتعطي عطفًا على محل المسح، إذ أن كلمة (برؤوسكم) منصوبة كمفعول به، نظرًا لتعدية فعل المسح ووجوب النصب، وقد أضيفت الباء لتحقيق معنى التبعيض." ووردت هذه القراءة بالنصب عند ثلاثة من القراء السبعة، وهم نافع وابن عامر والكسائي، كما رواها حفص عن عاصم، وهي القراءة المنسوبة إلى أبي عبد الرحمن السلمي عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، مع أن قراءتها بالنصب توجب فهم المسح بمعنى الاستيعاب الكامل للرأس" (الكليني، ١٩٨٦: ٣٠)

نظرًا لارتباط الفعل "امسحوا" بالممسوح مباشرة، وتحديد الأرجل بالكعبين كما حُددت الأيدي بالمرفقين، فإن ظاهر النص يشير إلى استيعاب المسح من رؤوس الأصابع إلى الكعبين، مما يؤكد صحة قراءة النصب، وهي القراءة المعتمدة لدى المسلمين والمختارة وفق الضوابط الشرعية. وبغض النظر عن قراءة النص بالخفض أو بالنصب، يظل المعنى عطفًا على المسح على الرأس دون الأيدي، فلا يترتب عليه الغسل الكامل للأرجل. ومن هذا المنطلق، يتضح "أن حكم الكتاب الكريم هو المسح، وهو ما أكده أئمة أهل البيت عليهم السلام، وعنه أمير المؤمنين عليه السلام بأن القرآن نزل بالمسح" (العاملي، ١٩٨٩ : ١٥)

قال الشيخ محمد عبده إن الظاهر من الآية أنها عطف على الرأس، أي أن المسح يكون بالأرجل إلى الكعبين، وقد اختلف العلماء في مسألة غسل الرجلين أو مسحهما، فالجماهير من العلماء ذهبوا إلى وجوب الغسل، بينما ترى الشيعة الإمامية أن المسح كافٍ. وقد ذكر "الرازي" أن هذا الرأي كان متبعًا لدى ابن عباس وأنس بن مالك وعكرمة والشعبي وأبي جعفر محمد بن علي الباقر. (عليهم السلام). وأهم ما استندت إليه غالبية العلماء في هذا الباب هو عمل الصحابة الأوائل وما ورد من الأحاديث القولية. وذكر "الطبري" أنه اختار الجمع بين الأمرين، فيما أضاف "الآلوسي" تعليقاته وانتقاده للشيعة، وهو نقاش موسع ورد في كتب أهل السنة.

(الطباطبائي، ١٩٢٩ : ٢٢٧- ٢٣٥)

آية قصر الصلاة

تُعد هذه الآية من المواضع التي أثارت جدلًا حول دلالتها، وهل تختص بصلاة الخوف فقط أم تشمل صلاة المسافر أيضًا، وقد اختلف المفسرون في تفسيرها، إلا أن الغالبية رجحوا تعميم دلالتها، مستندين إلى ممارسة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) والأئمة وسائر المسلمين منذ العهد الأول في قصر الصلاة اعتمادًا على ما جاءت به هذه الآية.رغم أن ظاهرها يشير إلى صلاة الخوف فقط. ! قال تعالى: "﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كانُوا لَكُمْ عَدُوّاً مُّبِيناً * وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾" (النساء :١٠١)

ظاهر العبارة أن جملة الشرط (إن خفتم) تقيد موضوع القصر في الصلاة، أي أن القصر عند السفر مرتبط بوجود الخوف. ومن ثم جاءت الآية التالية لتوضيح صلاة الخوف. وقد رأى بعض المفسرين أن ظاهر الآية يوحي بعدم جواز القصر إلا في حالة الخوف، لكن من خلال بيان النبي صلى الله عليه وآله ثبت جواز القصر عند الأمن أيضًا. ويحتمل أن ذكر الخوف في الآية

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

جاء وفقًا للعادة السائدة، إذ إن المسافرين غالبًا ما كانوا يخافون الأعداء أثناء سفرهم، ويلاحظ أن هذا الأسلوب يتكرر في القرآن في مواضع متعددة. (الطباطبائي،١٠١:١٩٨٩)

يرى المحقق الفيض: أن سبب ذكر القصر في الصلاة كما ورد في الآية يعود إلى تهيئة النفوس للمسافرين، إذ ربما اعتادوا على الإتمام وكان يخطر في بالهم شعور بالنقص عند تقصير الصلاة. فجاء الأمر بالقصر لرفع هذا الإحساس عنهم وطمأنتهم إليه.

(الرازي، ١٩٩٠ : ٣٨٨- ٣٨٩)

آية الخمس

قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى .. ﴾ (الأنفال: ٤١)

وردت هذه الآية بعد حادثة بدر، في سياق عدم تخصيص الرسول صلى الله عليه وآله للغنائم الناتجة عن بدر. (الطبري ،١٩٨٥ : ١٠)

ذكر عبادة بن الصامت أن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وزع مع المسلمين الخمس من كل غنيمة بعد معركة بدر. وشملت هذه القاعدة جميع الغنائم الحربية، وقد نقل عن ابن عباس أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا بعث سرية وغنموا، كان يؤخذ من الغنائم الخمس...

(السيوطي ، ١٩٨٩ : ١٨٥)

ولكن جاء في تفسير أهل البيت شمول الآية لكل ما يغنمه الإنسان في حياته من تجارة أو صناعة أو زراعة، فكل ما ربحه الإنسان في مكاسبه مما هو فاضل مؤونته – مؤونة نفسه وعياله – طول السنة، ففيه الخمس) (العاملي ، ١٩٨٩ : ٥٠٠)

المقصود بذلك (هو التمييز بين ما يتعلق بحقوق الإنسان تجاه غيره وما يشكل خطرًا عليه، وبين الميراث الذي لا يُحتسب ضمنه حساب محدد).(العاملي، ١٩٨٩ : ٥٠١)

أوضح " الطبرسي" أن الخمس يُلزم في كل منفعة يحققها الإنسان من المكاسب، وأرباح التجارة، والكنوز، والمعادن، والغوص، وغيرها، مستدلًا على ذلك بما يطلقه عرف اللغة من إطلاق اسم الغنم أو الغنيمة على جميع هذه الأمور(الطباطبائي، ١٩٨٣ : ٥٤٤)

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ [الأنفال : ٤١] . وردت هذه الآية بعد واقعة بدر، وذلك في سياق عدم أخذ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للخمس من غنائم بدر، فقد ذكر عبادة بن الصامت أن الرسول صلى الله عليه وآله استقبل مع المسلمين الخمس يشمل كل غنيمة تحققت بعد "معركة بدر".

(السيوطي ، ١٩٨٩ : ١٨٧)

وتشمل هذه القاعدة جميع الغنائم الحربية، فقد ذكر ابن عباس أن الرسول صلى الله عليه وآله إذا بعث سرية وغنموا، كان يؤخذ من الغنائم الخمس.(السيوطي ، ١٩٨٩ : ١٨٥)

آية القطع

روى أبو النضر محمد بن مسعود العياشي بإسناده عن زرقان، صاحب ابن أبي داود قاضي القضاة، أن سارقًا أُحضر إلى محضر الخليفة المعتصم بعد أن أقر بسرقته وطلب إقامة الحد عليه. جمع الخليفة الفقهاء للنظر في موضع القطع، فأشار ابن أبي داود إلى الكرسوع مستندًا إلى آية التيمم، ووافقه بعض الفقهاء، بينما رأى آخرون أن القطع يجب أن يكون من المرفق استنادًا إلى آية الوضوء. وعندما استُدعي الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام، استأذن في البداية عن إبداء الرأي، لكنه أُصر على معرفة الحكم وأقسم عليه بالله أن يبوح برأيه، فأوضح الإمام أن السنة قد أخطئت فيها، وأن القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع مع ترك الكف، مستندًا في ذلك إلى أن السجود يكون على سبعة أعضاء: الوجه واليدين والركبتين والرجلين، فإذا قُطعت اليد من الكرسوع أو المرفق، لا يبقى لها ما تُسجد عليه.... وقد قال الله تعالى: "﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾" يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها: فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً وما كان الله لا يقطع فأعجب المعتصم ذلك وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف"

(العياشي، ١٩٨٤ : ٣١٩ – ٣٢٠)

تحريم الخمر

لم ترد في القرآن آية تحرم شرب الخمر بصياغة صريحة، وإنما جاء الأمر بالاجتناب عنها أو بما ينبغي الانتهاء عنه، وهو ما يبدو كإرشاد للعقل. وقد يوهم هذا الظاهر أن الخمر ليست

محرمة في الشريعة الإسلامية. بناءً على ذلك، سأل المهدي العباسي الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) عن حكم الخمر، قائلاً: "هل هي محرمة في كتاب الله عز وجل؟ فإن الناس يعرفون النهي عنها دون معرفة التحريم". فأجاب الإمام (عليه السلام): "بل هي محرمة في كتاب الله يا أمير المؤمنين"، فسأله المهدي: "في أي موضع هي محرمة في كتاب الله يا أبا الحسن؟ فقال: في قول الله عزّ وجل:"﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾"....(الاعراف: ٣٣). قال عالية: أما ما ظهر فهو الزنا المعلن، ونصب الرايات التي كانت ترفعها الفواجر للفواحش في الجاهلية... وأما ما بطن فيعني ما نكح الآباء، كان الناس قبل البعثة إذا كان للرجل زوجة ومات عنها، تزوجها ابنه من بعده إذا لم تكن أمه.

نتائج البحث

توصل البحث الى مجموعه من النتائج

١. تم التوصل إلى أن التفسير هو عملية كشف المعاني والمقاصد الكامنة وراء النص القرآني، مع الأخذ في الاعتبار كافة الأصول اللغوية والشرعية للوصول إلى مراد الله تعالى

٢. التأكيد على أن التفسير بالمأثور هو الأساس الصلب الذي يُبنى عليه كل تفسير آخر، وأن تفسير القرآن بالقرآن هو أشرف أنواع التفسير وأجلها، يليه تفسير السنة وأقوال الصحابة والتابعين

٣. ثبوت مرجعية أهل البيت عليهم السلام في التفسير بناءً على الأدلة القاطعة كحديث الثقلين، وأنهم كانوا يستنبطون الأحكام بدقة متناهية تفوق الفهم العام في بعض المسائل

٤. أظهرت النماذج العملية (كمسألة مسح الرأس ببعضه لمكان حرف الباء) الدقة اللغوية والأصولية العميقة التي كان يتمتع بها الأئمة في استخراج الأحكام الشرعي

٥. تبين أن التفسير بالرأي المقبول هو ما كان موافقاً لقصد الشارع، ومتمشياً مع قواعد اللغة العربية وأصولها، وخالياً من الهوى والبدعة، ويختلف كلياً عن الرأي المذموم

المصادر

١. ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، (١٩٥٩م) شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية للنشر والتوزيع.

٢. ابن تيمية، تقي الدين أحمد، (١٩٨٨م) ،شرح مقدمة في أصول التفسير، ط١ ، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة: دار الفكر للنشر.

٣. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، (١٩٧٢ م)، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر – بيروت

٤. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، (٢٠٠٣ م)، *لسان العرب*، دار صادر – بيروت، الطبعة غير محددة.

٥. الأزرقي، محمد بن عبد الله، ،(١٩٨٢م) منهج فهم القرآن، ط١، بيروت: دار الفكر للنشر

٦. الأندلسي، الإمام أبي حيان محمد بن يوسف الغرناطي، (١٤١٣ هـ)، البحر المحيط في اللغة والأدب أو في التفسير ، ط١ ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٧. البخاري، محمد بن إسماعيل، (١٩٩٥م) ، صحيح البخاري، تحقيق: لجنة تحقيق مخطوطات التراث الإسلامي، بيروت: دار الكتب العلمية للنشر.

٨. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (١٩٩٩)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع.

٩. الحديث، الحاكم النيسابوري، (١٩٨٧م) ،المستدرك على الصحيحين، ط١، تحقيق: لجنة التحقيق، بيروت: دار الفكر للنشر.

١٠. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، (١٩٨٩م) ، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، قم: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

١١. الحسن، علي بن محمد، ،(١٩٩٠م) مناهج تفسير القرآن الكريم، ط١ ، بيروت: دار الفكر للنشر.

١٢. الحسن، محمد علي،(٢٠٠١م) المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، ط١ ، القاهرة: دار الفكر العربي

١٣. الرازي، فخر الدين، (١٩٨٨م) الموافقات في أصول الأحكام، ط١، بيروت: دار الفكر للنشر.

١٤. الزرقاني، محمد عبد العظيم، (١٩٨٢م) مناهل العرفان في علوم القرآن، ط١، القاهرة: دار الفكر للنشر

١٥. الزركشي، الإمام جمال الدين محمد بن عبد الله، (القرن ٨ هـ تقريبًا)، البرهان في علوم القرآن

١٦. السيد مسلم بن حمود الحسيني الحلي (١٩٦٠م) كتاب القرآن والعقيدة، أو آيات العقائد ، ط١ ، نُشر في: النجف : مطبعة القضاء

١٧. السيوطي، جلال الدين، (١٩٨٩م) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ط١ ، القاهرة: دار الفكر للنشر.

١٨. السيوطي، جلال الدين،(١٩٩٥م) مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، ط١، القاهرة: دار الفكر العربي للنشر.

١٩. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جمال الدين، (٢٠١٠ م)، ،الاتقان في علوم القرآن

٢٠. الشريف الرضي، (١٩٦٧م) نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، بيروت: دار الكتاب اللبناني للنشر والتوزيع

٢١. الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن، (١٩٤٧م)، الاستبصار في مسائل الاختلاف، ط١ ، النجف: مطبعة النجف للنشر

٢٢. الطباطبائي، محمد حسين، (١٩٧٢ م)، الميزان في تفسير القرآن الكريم ، ج ١، دار النشر غير محددة.

٢٣. الطباطبائي، محمد رشيد، (١٩٢٦م)،تفسير المنار، ط١ ، القاهرة: مطبعة المنار للنشر

٢٤. الطبري، محمد بن جرير، (١٩٨٥م) تفسير القرآن الكريم، تحقيق: لجنة تحقيق التراث الإسلامي، ط١، بيروت: دار الفكر للنشر

٢٥. الفيروز آبادي،(٢٠٠٣م) السيد مرتضى الحسيني اليزدي، فضائل الخمسة من الصحاح الستّة وغيرها من الكتب المعتبرة عند أهل السنة والجماعة، ط١ ، قم: منشورات فيروزآبادي

٢٦. الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي، (١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م)، الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ط١، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت.

٢٧. الكليني، محمد بن يعقوب،(١٩٨٦م) ،الكافي، طهران: دار الكتب الإسلامية للنشر والتوزيع
٢٨. الكنهل، بسمة بنت عبد الله بن حمد، (١٤٣٨هـ)، التفسير بالبيان المتصل في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين – قسم القرآن وعلومه.
٢٩. محمد عبد (١٩٩٩م)، نفحات من علوم القرآن**، القاهرة: دار الفكر العربي للنشر.
٣٠. مسلم، محمد بن الحجاج، (١٩٩٥م) صحيح مسلم، تحقيق: لجنة تحقيق التراث الإسلامي، بيروت: دار الكتب العلمية.
٣١. المصطفوي، حسن، (٢٠٠٩ م)، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: يبحث عن الأصل الواحد في كل كلمة وتطوره وتطبيقه على موارد استعمالها، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، بيروت.
٣٢. الواحدي، عبد الرحمن، (٢٠٠٠م) ، مقدمة جامع التفاسير، ط١، القاهرة: دار الكتب العلمية للنشر.